المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٨ صفر سنة ١٣٢٥

الجمعية العمومية والتعليم

التعليم باللغة العربية

عقدت الجمعية العمومية المصرية في اوائل شهر مارس واقترحت على الحكومة اقتراحات كثيرة يهمُّ الجلات التعلية البحث فيهما ومنها تعليم العلوم باللغة العربية وهذا نص الاقتراح على ما اوردهُ سعادة محمود سليمان باشا

تقترح على الجمعية العمومية ان تلتمس من حكومة الجناب العالي ان توجه نظرها الى تعليم العلوم باللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية لأن هذه اللغة بصفتها لغة البلاد يجب ان يعلمها الطلبة حق العلم واكمل ما يكون ذلك اذا درسوا بها العلوم ولأن التلامذة في هاتين الدرجتين من درجات التعليم هم احدث سنًّا من ان يتقنوا فهم العلوم بلغة غير لغتهم . وبالجملة نقول ان تدريس العلوم باللغة الاجنبيَّة يقيم على التلامذة كثيرًا من العلم

اما اللغات الاجنبيَّة فيصير تعليمها فائقة بذاتها لتلامذة المدارس المذكورة

وتلاهُ حضرة الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد فقال : — من القواعد التي لا خلاف فيها ان تعليم العلوم بلغة الامة اكثر نفعاً واعظم فائدة بما لا يقدر من تعليمها بلغة اجنبية عنها . ذلك لان التعليم بلغة الامة ينقل العلوم بكليتها اليها بخلاف التعليم باللغة الاجنبيَّة فانهُ ينقل افراد المتعلمين فقط من الامة لهذه العلوم

التعليم بلغة الامة يوجد الاساتذة الاكفاء منها ويوجد الكتب فيها بلغتها فينشر العلم في المنازل وفي المتنديات الى حدّ ان يأخذ كل من يحسن القراءة منها نصيباً . وان العلم طوّاف في العالم ينزل ضيفاً على الامم ولا يشترطون الاَّ اللغات فان وجد لهُ متسعاً منها ولا يكون ذلك الاَّ بالاستعمال اتخذها وطنهُ وكانت بهِ حياتها الى ان تحدث الحوادث التي تحل بالامم

فتوقف حركة النموّ فيها . وتقلبها رأساً على عقب فتول مقاتل العلم اللغة وآخرها اللغة

واذا كان بالعلم حياة الامم فهو لا يحييها الاّ اذا دبّ في جسمها كالدم في الشرايين ولا طريق له في حاملهِ سوى اللغة التي هي آلة التفاهم . لذلك كانت الحكومة الخديويّة اول ما فكرت في انشاء المدارس المنظمة على سنن الحكومات المرتقية قد جعلت اللغة العربية اساساً للتعليم حتى كان الاستاذ الاوربي يعلّم والمترجم المصري بجانبهِ يترجم اقوالهُ للطلبة الى ان وجد من المصريين الاساتذة الاكفاء في جميع العلوم العصرية وهؤلاء كانوا يترجمون الكتب ويؤلفونها بالعربية في جميع العلوم . وفي الكتبخانة الخديويّة مئات من المؤلفات المدرسية التي كانت تدرّس في المدارس الاميريّة ولو استمرّ الحال على هذا المنوال الى الآن لوجدت الالوف من هذه الكتب تترقى وتتهذب في نوعها سنة فسنة على مثال ما يرقى ويتهذب مثلها في البلاد الاوربية

ولكن حصل خطأٌ في طريقة التعليم في المدارس الاميرية من بعض الذين كانوا قابضين على ازمتها منذ بضع عشرة سنة اذ قال باستعمال اللغات الاجنبيّة آلة للتعليم في المدارس العالية ثم حصل التوسع في هذا الخطإ بمعاذير تزيد كلما طال الزمن لانها منحصرة في ثلاث علل كما يقولون . الاولى قلة الاساتذة الوطنيين الاكفاء . الثانية قلة الكتب العربية المؤلفة في العلوم المدرسية او عدم صلاحية ما يوجد منها . الثالثة فقر اللغة في الاصطلاحات الفنية التي تزيد كل يوم في العلوم بالفات الاجنبيّة

والحقيقة ان ما يحتوينهُ علاّ هو في الواقع نتائج معلولة لعلة واحدة هي هجر اللغة العربيّة من تعليم العلوم لان هذا الهجر استدعى جلب الاساتذة من غير المصريين وفي كل عام منذ تقرر التعليم باللغات الاجنبيّة يزيد عددهم في مدارس الحكومة وهذا الجلب افضى الى قلة الاساتذة المصريين الاكفاء بالضرورة كما افضى الى قلة الكتب المدرسيّة بل الى فقدانها بالمرة

وان اللغة كالبناء الذي يشاد وتحفظ معالمهُ بالتعهد والعناية ـ تحيا باستعمالها في العلوم وتموت بعدم الاستعمال فالذي يهجر بيتهُ ويهملهُ زمناً طويلاً انما يهدمهُ يدمر فان كانت اللغة العربيّة خالية من الاصطلاحات الفنيّة الآن كما يقولون فليس هذا مع تسليمهِ ذنب اللغة ولكنهُ ذنب مهمليها من ادخال الاصطلاحات المتجددة فيها . واللغة العربيّة لا تأبى الدخيل فيها من اللغات الاجنبيّة متى كانت الحاجة ماسة اليهِ وقد ترجمت اليها العلوم اليونانيّة باصطلاحاتها قبل الف سنة فلم تضق ذرعاً عن كل دخيل اقتضاهُ التوسع في العلوم . فشأن اللغة العربيّة اليوم شأن اللغات التركيّة والبلغاريّة والمجريّة والروسيّة والصربيّة واليابانيّة وما

شاكلها فان العلوم العصرية الاوربية تعلم في تلك الممالك بلغاتها الوطنية ولم تقف الاصطلاحات الفنية عقبة دون استعمالها

تعليم العلوم كلها في المدارس الاميرية باللغة العربية موقوف على ارادة نظارة المعارف العمومية التي لو ارادت لوجدت مدرسة معلمين كبرى تكفي لتخريج خمسين او ستين استاذاً كل سنة بدلاً من مدرسة المعلمين الموجودة الآن تنتج ستة ونقفل اخرى حيث لا يقصدها الا مرتاب في مستقبله عالم ان منتهى امره ان يكون معلماً صغيراً في مدرسة ابتدائية يرتب يتناول مثله كاتب بسيط في احد الدواوين

ولو ارادت ايضاً لتابعت الارساليات الى كليات اوروبا العالية للنبوغ في اصول التربية والتعليم كما كانت تفعل والتعليم يجري باللغة العربية وهي معتمة بترقيته ولو فعلت ذلك لكان عندها كل ما تريد من صفات الاساتذة الاكفاء بين الوطنيين

ولما كان استمرار طريقة التعليم باللغات الاجنبية مؤدياً ولا ريب الى حصر العلم في دائرة ضيقة جداً من الامة ومقللاً بالضرورة للاساتذة الاكفاء من الوطنيين وملاشياً للكتب العلمية والفنية التي بلغة البلاد وميتاً لهذه اللغة شيئاً فشيئاً. وكل هذه النتائج مضار كبرى تلحق بالامة المصرية ولا علاج لها الا تعديل طريقة التعليم الجارية الآن باللغة الاجنبية . فانا التمس من هيئة الجمعية العمومية الموافقة على طلب تعليم العلوم في مدارس الحكومة وامتحان طلبتها باللغة العربية وان يكون الشروع في ذلك من السنة المقبلة باستعمال هذه الطريقة في المدارس الابتدائية حيث الاساتذة الذين يعلمون علومها وطنيون يعرفون اللغة العربية اكثر من معرفتهم اللغات الاجنبية وفي قدرتهم ان يترجموا الدروس التي يلقونها على الطلبة من الكتب الافرنجية وان تتخذ الحكومة الوسائل الفعالة لايجاد الكتب العربية الصالحة في كل علم وفن . وان تتدرج من ذلك الى استعمال هذه الطريقة نفسها في المدارس الثانوية فالعالية . انتهى

وكان سعادة ناظر المعارف حاضراً فاجابه قائلاً : — اني اتمنى بصفة كوني مصرياً ان يكون التعليم في المدارس جميعها بلغة بلادنا ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه لان هناك صعوبات كثيرة تحول بيننا وبين بلوغ هذه الامنية الآن . وهذه الصعوبات وان كان يجب السعي لتذليلها وصرف العناية لتسهيلها الا انه يلزم ان نحسب الآن حسابها

ان الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الاجنبية لمحض رغبتها او اتباعها لشهوتها ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الامة واقتداء بالامة نفسها

ان مركز الامة من الامم الاخرى واختلاطها بالاجانب واشتباك المصالح الاجنبية بالمصالح

الوطنية كل ذلك يوجب ان يكون تعليم العلوم باللغة الاجنبية لكي يتنوى التلاميذ فيها كما ينبغي ويمكنهم بها ان يستفيدوا من المدنية الاوروبية ويقيدوا بلادهم بها ويقووا على النضال مع الاجانب في معترك هذه الحياة حياة العلم والعمل. شعرت الامة بهذه الضرورة قبل شعور الحكومة بها فارسلت كثيراً من ابنائها الى المدارس الاجنبية كمدارس الفرير والجيزويت والامريكان التي تعلم العلوم فيها بلغات اجنبية لكي يجيدوا تعلمها وتركوا مدارس الحكومة التي كان التعليم فيها باللغة العربية لشعورهم بانها لم تكن كافية لسد حاجاتهم ولذلك امتلأت تلك المدارس الاجنبية بالطلاب قبل ان تقرر الحكومة التعليم باللغة الاجنبية

لما رأت الحكومة ذلك وتحققت ان في بناء التعليم في مدارسها باللغة العربية ضرراً بتلاميذ هذه المدارس لضعفهم عن مجاراة اخوانهم بالمدارس الاجنبية في معترك هذه الحياة ومسابقة غيرهم من الاجانب الذين كانوا يتسلطون الينا من كل حدب ويتسابقون الى مزاحمتنا على منافع بلادنا اضطرت ان توجب التعليم باللغة الاجنبية (الفرنسية او الانكليزية) وكان اول من سعى في ذلك وتقدم سنة ١٨٨٩ هو المرحوم علي مبارك باشا الذي يعرف كنا منزلته من العلم وفن التربية وحرصه على منفعة البلاد

ومع كون التعليم حاصلاً من ذلك العهد بلغة اجنبية فلا تزال الشكوى تتقدم بعد الشكوى لذوي الحل والعقد من ضعف التلاميذ في اللغة الاجنبية وقد تقدم الي كثير منها مع قرب عهدي بوظيفتي حتى ان احد رؤساء المصالح حضر عندي واخبرني بان لديه ٢٤ وظيفة خالية ولم يجد من بين حاملي الشهادة الابتدائية من يمكنه القيام بواحدة منها وانه مضطر لذلك ان يعين فيها من الاجانب وطلب مني النظر في طريقة تقوي تلامذتنا في اللغات الاجنبية. وكثيراً ما تكلمت الجرائد عن هذا الضعف واقرب كلامها ما نشر في بعض الجرائد بامضاء مصطفى صبري يشكو فيه من الشكوى من ذلك

زرت مدرسة للبنات في مدينة الفيوم ووجدت تلميذاتها قليلات ولما سألت عن ذلك قيل ان السبب فيه هو عدم تعليم لغة اجنبية فيها

عندما انشئت مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التي انا احد مؤسسيها رأينا ان لا ندخل اللغات الاجنبية فيها ولكننا لم نلبث ان شعرنا بهذا الخطإ فعدلنا عنه واضطررنا لادخالها وان جميع المدارس الحرة اي التي ليست تابعة للحكومة حتى التي يديرها اشد الناس تعصباً للغة العربية يعلم فيها باللغة الاجنبية

وما ذلك الا لشعور الامة بشدة احتياجها الى تقوية ابنائها في اللغات الاجنبية وفي

الحقيقة اذا فرضنا انهُ يمكننا ان نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيهِ فعلاً فاننا نكون اسأنا الى بلادنا والى انفسنا اساءة كبرى لانهُ لا يمكن للذين يشتغلون على هذا النحو ان يتوظفوا في الجمارك والبوستة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة التي يقتضي نظامها وجود كثير من الموظفين العارفين باحدى اللغات الاجنبية حق المعرفة ولا ان يستخدموا في بنك او مصرف ولا ان يشتركوا في شركة من الشركات التي كثر تأسيسها الآن في بلادنا ولا ان يكونوا محامين امام المحاكم المختلطة ولا مترجمين ولا غير ذلك من كل ما يحتاج فيهِ الى البراعة في لغة اجنبية وهو كثير جدًّا في بلادنا

اذا تطعنا النظر عن ذلك كلهِ واردنا ان نشرع من فورنا في التعليم باللغة العربية صادفتنا صعوبة مادية وهي قلة المعلمين الاكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة باللغة العربية وسواء كانت هذه الصعوبة ناشئة من نعل نظارة المعارف كما يقول سعادة الشيخ علي يوسف في اقتراحه او ناشئة كما هو الواقع عن امور اخرى لا محل الآن لتفصيلها فالحقيقة انها موجودة ولا تحيل مع وجودها الشروع الآن في التعليم باللغة العربية فاذا كنتم مع ذلك توافقون على الاقتراح المقدم لكم كنتم كمن يحاول الصعود الى السماء بلا سلم

لذلك كلهِ ارجو ان لا تندفعوا في هذه المسألة وراء احساسكم وان تستشيروا قبل البت فيها العقل والحكمة اذ لا فائدة لكم من ان تطلبوا طلبًا تعلمون من الآن انهُ لا يقابل بغير الرفض لاستحالة تنفيذهِ . وكل ما يمكنكم ان ترغبوهُ مني وما يمكنني ان اشتغل بهِ واقدمهُ خدمة لوطني هو السعي في تذليل تلك الصعوبة المادية وهو ما عقدت النية عليهِ وتشتغل بهِ نظارة المعارف الآن من توسيع نطاق مدارس المعلمين والارساليات الى اوربا وتحسين حالة موظفي المدارس حتى يمكن وجود عدد كاف يتولى التعليم باللغة العربية كما ارغب وترغبون وانبي اذا وفقت لتحقيق هذه الامور الثلاثة خدمت بلادي خدمة جليلة فارجوكم ان تساعدوني عليها وان لا تضعوا في طريقي عقبات تحول بيني وبين تحقيق امانيكم

يقول سعادة الشيخ علي يوسف انهُ يمكن مع الاساتذة الموجودين الآن في المدارس الابتدائية ان تعلم فيها كل العلوم باللغة العربية ولكن اذا شرعنا في ذلك من السنة المقبلة كما يقول سعادة المقترح فلا يمكن للتلاميذ الذين يتخرجون منها على هذا النحو ان يسيروا مع اخوانهم في المدارس الثانوية لوجود التعليم فيها باللغة الاجنبية ولا يمكن التعليم في هذه الاخيرة باللغة العربية لعدم وجود الاكفاء من المعلمين الآن وهذا يوضح لكم ان نظام المدارس كبناء يجب ان لا ينقض حجرة قبل النظر الى جملتهِ خشية ان يتداعى البناء كله الى السقوط

اني اردت ان ادخل معكم في هذا البيان خلافاً لما تعودتموه لانقل اليكم احساسي وما في نفسي ولأبين لكم الاسباب التي تحملكم على التأمل والتفكر في هذا الموضوع الخطير واني واثق من انكم اذا تأملتم تأملي ودققتم النظر فيه كما ينبغي والتمرتي على رفض ذلك الاقتراح الآن . انتهى

واقرّت الجمعية العمومية اخيراً على قبول الاقتراح بعد تعديله اي ان يجعل التعليم باللغة العربية شيئاً فشيئاً

ولقد كان غرض الحكومة من جعل التعليم بالفرنسويّة او الانكليزيّة تمكين المتعلمين من هاتين اللغتين كما تقدم لان الغرض الاكبر من مدارس الحكومة تخريج العدد الكافي من الشبان لاجل الخدم الاميريّة واللغة الانكليزيّة او الفرنسويّة لازمة لهم ولا اضطرّت الحكومة ان تستخدم سواهم سبقى مصالحها . وسواء اصاب الذين نقلوا التعليم من اللغة العربيّة الى غيرها او لم يصيبوا فتلقي العلوم باللغة العربية او بغيرها امرٌ هامٌ جدًّا لذاته من حيث مصلحة التلامذة بنوع خاص ومن حيث مصلحة البلاد بنوع عام ولكلٍّ منهما مزايا

اولاً — اذا عرف التلميذ اللغة الاجنبية معرفةً كافية لفهم كتبها البسيطة لم يعسر عليه فهم كتبها العلية اكثر مما يعسر عليه فهمها اذا كانت تلك الكتب بالعربية ويؤيد ذلك ان الذين تلقوا العلوم في فرنسا او انكلترا من المصريين والسوريين نبغوا فيها كما نبغ رفاقهم من الفرنسويين والانكليز وكما نبغ اخوانهم الذين تلقوا العلوم بالعربية في مصر وسوريّة

وثانياً — ان الذين يتلقون العلوم بلغة اجنبية يسهل عليهم استعمال تلك اللغة كتابةً وتكلماً اكثر مما يسهل على الذين لم يتعلموا العلوم بها

وثالثاً — ان وسائل الدرس والمراجعة باللغات الاجنبية اكثر واقرب من وسائل الدرس والمراجعة بالعربية وكتب التعليم اكثر واحدث مما يمكن ان يوجد بالعربية

ورابعاً — يسهل وجود الاساتذة المختصين بالعلوم من الاوربيين اكثر مما يسهل وجود اساتذة مثلهم من الوطنيين لان الاستاذ الوطني الذي يبرع في الطب او الحقوق او الكيمياء يجد الباب مفتوحاً امامهُ لوظائف عالية كثيرة الربح او للكسب الوافر من معاطاة الاعمال فقلة المتعلمين عندنا حتى الآن واما البارعون في هذه العلوم في المانيا وفرنسا وانكلترا فكثار جدًّا ولا يصعب استخدامهم في التعليم كما يستخدمهم غيرنا من امم المشرق ولا يسهل عليهم التعليم الاّ بلغتهم . هذه اهم المزايا التي يمتاز بها التعليم بلغة اجنبية على التعليم بالعربية

والتعليم بالعربية مزايا لا تنكر اولها انهُ يدفع الحكومة الى الانفاق على ترجمة الكتب

العلية ونشرها وتجديد تنقيحها ونشرها كلما جدّ في العلم شيء يستحق اعادة طبعها . ونشر الكتب العلية باللغة العربية يفيد كثيرين من الذين يحبون المطالعة ويستفيدون منها ولو لم يكونوا من تلامذة المدارس . وثانيا ان اللغة تستفيد من نقل المصطلحات العلية الجديدة اليها ومن التفتيش عن المصطلحات العلية القديمة واستعمالها ولا عبرة بما يقال عن صعوبة وجود المصطلحات العلية بالعربية فاننا لا نجد في ذلك صعوبة كبيرة واسهل على المترجم ان يترجم كتابا كبيرا في التشريح او الفيسولوجيا او الحساب او الجبر او الهندسة من ان يترجم رواية فيها احاديث يومية مما يتكلم به الانكليز او الفرنسويون في بيوتهم او افكار اجتماعية جديدة . فان الصعوبة قائمة بنقل الافكار الجديدة التي يصير تحديد المراد منها لا في نقل القواعد والمصطلحات العلية المحدودة المعنى . وكثيرا ما سألنا علماء الاوربيين قائلين كيف تنقلون المصطلحات العلية الى العربية فكنا نجيبهم انكم انتم تعتمدون على اليونانية واللاتينية في وضع الكلمات للمعاني العلية الجديدة ونحن نجري على طريق من طريقين فاما ان نشتق للمعنى الجديد اسماً عربياً يؤديه او نكتفي بنقل الاسم اللاتيني او اليوناني على حاله كما فعل اسلافنا الذين ترجموا كتب اليونان

فاذا وازنّا بين هذه المزايا وجدنا ان مزايا التعليم بلغة اجنبية تفوق مزايا التعليم بالعربية لطلاب التوظف في الحكومة ولطلاب الاشغال التجارية دون سواهم . ويمكن نقل التعليم الى العربية تدريجاً ولا يحرم طلاب الوظائف الاميرية من سبيل لاتقان اللغة الاجنبية وذلك بقسمة الدرس في المدارس الثانوية الى قسمين قسم يراد به تعليم العلوم بنوع عام وهذا يكون الدرس فيه باللغة العربية وقسم يراد به اتقان اللغة الانكليزية او الفرنسوية لاجل الدخول في وظائف الحكومة والاشتغال بالاشغال التجارية وهذا يقتصر فيه على تعليم هذه اللغة والتمرن فيها وبذلك تحصل الفائدة المطلوبة سواء اراد الطالب الاستعداد لخدمة الحكومة او للاشغال التجارية

اما العلوم العالية فيفضل ان يكون تعليمها باللغة العربية ولكن يجب ان يكون طلابها قد تعلموا ما يكفي من لغة اجنبية حتى يستطيعوا مراجعة المطولات فيها وحتى يسهل عليهم ان يترسموا في بعض المدارس الاوربية اذا ارادوا التفوق على غيرهم كما يفعلون الآن . فان طلاب العلوم العالية من الانكليز يشغلون الفرنسوية او الالمانية او كليتهما لكي يقصدوا مدارس فرنسا والمانيا ويزيدوا توسعاً فيهما وكذا يفعل الفرنسويون والاميركيون والروسيون واليابانيون وكل الامم التي تطلب الارتقاء